

التبيان في تفسير القرآن

(227) الناس. ثم حكى تعالى بأن هؤلاء الكفار يقولون عند ذلك (هذا عذاب أليم) أي مؤلم موجه. والغشى اللباس الذي يغمى الشيء، لأن الإنسان قد يلبس الأزار ولا يغشيه. فإذا غمه كان قد غشاه. والغاشية من الناس الجماعة يغشون، وغاشية السرج من ذلك، ومنه قوله (يغشى الليل النهار) (1) والعذاب استمرار الألم ووصفه ب (أليم) مبالغة في سببه، لاجل استمراره وصار بالعرف عبارة عن العقاب، لأن الألم الذي يفعل للعوض والاعتبار، كأنه لا يعتد به لما يؤل إليه من النفع. قوله تعالى: (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) (12) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين (13) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (14) إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون (15) يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) (16) خمس آيات بلا خلاف. لما أخبرنا تعالى أن الدخان يغشى الناس عذابا لهم وعقابا للكفار، وحكى أنهم يقولون هذا عذاب أليم، حكى أيضا أنهم يقولون ويدعون (ربنا اصرف عنا العذاب) الذي أنزلته من الدخان إنا موقنون) بأنه لا إله غيرك، وأن لا يستحق العبادة سواك. فقال تعالى (أنى لهم الذكرى) قال ابن عباس معناه (كيف)؟ وقال غيره معناه من أين لهم الذكرى (وقد جاءهم رسول مبين) وحثهم على ذلك فلم يقبلوا منه، وهذا زمان سقوط التكليف لكونهم ملجئين

(1) سورة 7 الاعراف آية 53 وسورة 13 الرعد آية 3 (*)